

٣ - من لغو الصيف

## سوق الرقيق

للأستاذ سيد قطب

—»»»»»—

هذا الحشد من المرايا فوق « البلاج » إنه يذكرني بسوق الرقيق . لم أر هذه السوق ، ولكنني قرأت عنها ، ورسمت لها في نفسى صورة . . . إنها لو تجسمت ما كانت إلا هذا الحشد من المرايا فوق « البلاج » !

إننى أسمع هنا صامطة القيود ووسوسة الأغلال ووسط النخاس ! لا ألم هنا طلاقة الروح ، ولا حتى فراهة الجسد ! لا ألم الحرية التي ترفرف بلا سدود ولا قيود ! يجيز إلى في أحيان كثيرة أن هناك « نَحْأَسًا » هو الذى يعرض هذه الأجساد للشراء . أ كاد ألمه محتبثًا خلف هذه الأجساد الرخيصة التي تتحرك وفيها ثقلة القيد ، وتترنح فتوسوس الأغلال ! ونحى !

مالى لا ألم الفرح في هذه الوجوه الضاحكة ، ولا أحس السعادة في هذه اللامح المرحه ؟

ليس هنا فرح ولا سعادة ، فالفرح نورانية وإشراق ، والسعادة شافية واطمئنان . . . هنا عريضة نخي وراءها ضجرًا ، ومرح يستر في الجوائح الضيق !

هؤلاء قوم ضاق عالمهم « الباطن » ، فانطلقوا يذرعون الأرض بحثًا عن عالم « الظاهر » ، ومن فقد نفسه فبهيات يجد في « الخارج » شيئًا يطمئن إليه ، ويستشمر به السعادة والمهدوءا ساكيت ! ! !

\* \* \*

ولكن أهذه محنة رواد « البلاج » وحدهم في هذه الأيام ؟ كلا ! إنما هي محنة هذه الإنمائية التي غفلت عن نفسها لتسمع صوت الآلات ، محنة هذه الحضارة المادية الواردة من أوربا ، والتي هفت الناس عن أنفسهم بما أبدعته من وهج وبريق وضجيج !

كم أمقت هذه الحضارة الأوربية وأحقرها ، وأرثى للإنمائية التي خدعت بها ، فأوردتها التهلكة . . . بريق وضجيج ، ومتاع حسى غليظ . وفي هذه الضجة تختنق الروح ، ويخفت الضمير ، وتنطلق الترائز والحواس ، مسكرانة مبريدة تهيجها الأنوار الحمراء ، كالديكة والثيران في بلاد الأسبان !

حينما كان للإنمائية « باطن » تحتجليه ، وتشترف فيه النور المشرق الضيف ، وتستروح فيه الأشواق الخالدة ، والآفاق البعيدة . . . كانت هادئة مطمئنة مستقرة ، لأنها في الأعماق هناك غنية بما تجد ، مستفرقة في ذلك العالم القسيح . . . فلما طفت على السطح بفضل هذه الحضارة المادية البائسة ، ظلت تقفز وتقفز ، فلا تستقر أبدًا وظلت في قلق دائم ، وهياج مستمر . تبحث في كل يوم عن جديد ، وترهد بعد يوم في هذا الجديد .

إنها اللعنة التي بعدها « معجزة » بمض الفتونين بالبريق . ما قيمة آلات واختراعات وكشوف لا تحقق للنفس سعادتها ، ولا تهب للضمير اطمئنانه ، ولا تستمتع فيها الإنسانية حتى بالراحة من الضجر والقلق والمريدة والضيق ؟

\* \* \*

ولقيت بائع الكتب في أحد مقامي المدينة . . . فشكا إلى كساد سوق الكتب في هذه الأيام ! وقلت أعزبه عن خسارته أو أسليه :

— أو تحسب الناس هنا جاءوا ليقروا كتبًا ؟ إنهم يستروحون ويستجمون ويستعيدون نشاطهم المفقود ! فما كان أسرعه بالجواب . . . إنه فيلسوف :

— وهل هذه الدهرات الحمراء الصاخبة التي يترقون فيها مما يريح الأعصاب يا سيدى الأستاذ !؟

وحررت كيف أحبيه . . . وجمجت بالكلية المخنوقة ، في الوقت الذي كان هو يتابع حديثه بعد هذا الاستفهام :

— الكتب يا سيدى الأستاذ تباع الآن في الحى الحسينى . هنالك تجد الإقبال على جميع أنواع الكتب القيمة حتى في هذا الصيف الشديد . . .

إذن ما يزال في هذه الأمة خير . هذا الخبر هنالك في الحى الحسينى حيث يعيش الفقراء من الناس ، وحيث يعيش

المتذوق ، وشعور الفنى بالرصيد المذخور !  
 نهم بالتعاس وسمار ، التعاس الحسى القليظ ، التعاس التاح فى  
 هذا العالم المادى ... لو كان لهم روح تستشرف آفاقا وأنوارا  
 أخرى لا تصدوا فى هذا التعاس الحسى القليظ !  
 ولولا جريمتهم فى نشر الدعاية بين الشعب كله ، لاستحقوا  
 الرئاء ولكنهم ينشرون فى صحافتهم وأفلامهم وأغانيتهم ما يماقب  
 بوليس الآداب على بعضه فى المواخير ، ويسمون بمد ذلك كله  
 صحفين أو مطربين ناجحين !

\*\*\*

ومحى ! لماذا استطردت هذا الاستطراد ؟ إننا أحدثت عن  
 « سوق الرقيق » !  
 والملطمة ؟

هذا هو الأسم الذى اختاره بعضهم بحق للقسم من  
 « الكورنيش » بين « بلاج سيدى بشر رقم ١ » و « بلاج  
 سيدى بشر رقم ٢ »

فحينما ينقضى النهار ، يخرج رواد « البلاج » منه ، ويصطف  
 بعضهم فى المساء على سور « الكورنيش » بينما يجول بعضهم  
 الآخر ذهابا وإيابا .

يستعرض هؤلاء أولئك ، ويستعرض أولئك هؤلاء !  
 هؤلاء من سوارى سوق الرقيق ... هؤلاء من مروضات  
 تجول فيهن الأنظار ، وتحملق فيهن السيون ، وتتدسس الخطلرات  
 الريضة إلى أجسادهن الرخيصة فى رقاعة وقضول .

هذه هى الضحكات الرخوة المائمة ؛ وهذه هى الحركات  
 الرقيقة اللابئة ... ضحكات الجوارى ، لا تدل على فرح عميق  
 ولا حتى على صراح أسيل . إننا هى ضحكات الرقيق لاجتلاب  
 « الزبون » الضحكات بحاسب عليها النحاس أو يثيب !

من ذا ينفذ كن أيتها الجوارى المسكينات من سوق الرقيق ؟  
 من ذا يردكن إلى قبيوت الكرمة المسونة ، ويرد إليكن  
 كرامتكن المهذرة ، التى سلبت منكن باسم « المودرنزم » فى  
 هذه الأيام السود ؟

كان الرجال يتشبهون نظرة من سيد ، ويتشوقون إلى زواج  
 ككرم قليل . فصرتن اليوم سلمة مروضه على الأنظار ، سلمة  
 فى سوق الرقيق !

الأزهريون .. هناك حيث ينفث قليلا صوت الحضارة المادية  
 الجوفاء ، وحيث يحميا جزء من الماضى .

ولكن إلى كم يا ترى يمشى هذا الخبير قبل أن ينفث ؟  
 ليخيل إلى أن الأزهر فى هذه السنوات « يتجدد » على طريقة  
 « الغراب » . فهلا اتقى الله فيه أولئك « المجددون »  
 ففظلوا له قديمه البعيد فى عهد الاجتهاد ، وصانوه عن ذلك  
 « التجديد » أو ذلك « التقليد » ؟  
 الكتب ..

وهل يصبر هذا الجليل الضجر القلق المرعب الصاحب ...  
 على الكتاب ؟ ولماذا يقرأ الكتاب الجاد ، ولديه تلك الجملات  
 الرخيصة والأفلام الداعرة تملق فراثه ، وتنادى أحقر ما فيه ؛  
 وتشر له سور المرايا على البلاج ، وتحده بالبطارة عن القلب  
 الإنسان وما فيه ؟

أقول القلب الإنسان ! وهل تعرف هذه الصحف والأفلام  
 القذرة ومحرروها وممثلوها الرقماء ، شيئا عن القلب الإنسانى ؟  
 ولكنهم يسودون صفحات فى كل أسبوع وينشرون أفلاما فى  
 كل شهر عن هذا القلب الذى يزعمون !  
 آه .. لو سوط الجلاد !

هناك فى « نجد » يجلدون الشراء الذين يقولون النزل .  
 وهنا فى مصر يصفقون لمن يدلون الفتيات والفتيان على طرق  
 الدعارة ويدربونهم على الجون الرقيق ...

شيء من التساح هناك . وشيء من الحزم هنا ... يرحمك  
 الله يا محمد بن عبد الوهاب ، ورحمك الله يا عبد العزيز آل سعود !  
 يوم ولاية ققط من هذا فى مصر ، ليجلد أولئك الرقماء فى محطة  
 الإذاعة وفى « ستوديوها السينما » وفى جميع الجملات المصرية ،  
 الإمداد لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة ، يشرف عليه بعض  
 الشرفاء ذوى الأعراض وهم قليلون !  
 ولكنهم مساكين .

لقمة العيش وشهوة الحمد ... هذا كل ما لهم فى الوجود !  
 هم وقراؤهم ومستعمومهم ومشاهدتهم من ذلك الطراز ... ليس  
 هناك أفق مجهول ، ولا هدف مكنون .

ليس هناك عالم فى الضمير يبتشون فيه بعض الوقت ، ثم  
 يخرجون منه ليروا هذا العالم الظاهر بين المستطلع ، وحس